الاديب الاسترالي ديفيد معلوف يكشف عن الشرط الانساني عبر الباب الخلفي لاستراليا:

قصص عن معرفة الذات.. عبثية الحياة والخروج من اليومي بحثا عما هو كوني

ابراهيم درويش*

■ هناك اشياء غير مهمة قد تواجه الانسان ولكنها كفيلة بتغيير حياة الانسان، وهو تماما ما يريد قوله لنا الاديب الاسترالي من اصل لبناني ديفيد معلوف في مجموعته القصصية الاخيرة التي صدرت واخذت عنوان القصة الثانية: «كل حركة تقوم بها».

في بداية المجموعة يقدم معلوف اقتباسا من الفيلسوف باسكال بنيسيس التي يعبر فيها عن دهشته من كونه هنا وليس هناك «لانه لا يوجد اي سبب يجعلني هنا وليس هناك، والان وليس بعد، من وضعني هنا؟ بأمر من وتحت اي قدر تم تحديد هذا الزمن، وهذا المكان لي؟»، والمجموعة القصصية الجديدة هي عن وجود الانسان في مكان مثل استراليا وقدرية هذا الوجود، والسؤال الذي يثار او يثور حول عبثية الاختيار او التصميم الذي قاد لوجود « سين او صاد من الناس» في هذا المكان وهذه الحقبة الزمنية. سؤال فلسفي يرسم ملامحه معلوف في سبع لوحات قصصية رغم تعدد اتجاهاتها الا انها تمثل رؤية روائية شاملة، اشخاص بملامح موجزة وسير قصيرة واهتمامات يومية ولكنها تبحث عن الشرط الانساني والسؤال الكبير عن معنى الحياة. وعبر هذه الوجوه المسطحة التي لا نستبين ملامحها الا بقدر ما يكشفه القدر عن وجه المرأة التي تدير مطعما للمسافرين على حافة الوادي (في قصة وادي الغدران)، وعند محطة البنزين، السيدة ابين التي كانت من اجمل فتيات زمنها، قدر ما مخبأ لها على شكل رفسة حصان تركها مشوهة، بوجهين يتحدث كل منهما لغته، وعندما يضحك احدهما لا يعرف الوجه الثاني، السليم او المشوه عمّ يضحك؟ بهذه القدرية والعبثية وغياب التفاصيل المملة عن حياة الشخصيات يكشف لنا معلوف ظروف الابطال وتوزعهم وبحثهم عن منطق او فهم لمعنى وجودهم، يكتب معلوف في مجموعته القصصية في قدرية واضحة ويتحدث عن عشوائية الحياة ـ وعبث الحب والوجود، وغياب فكرة الاختيار، ولكن هذا لا يعني عدم رضا الراوي بقدره او فضائه، فالمكان الاسترالي، الذي لم يصله العمران يتحول الى ارض شعر وصورة عن الشرط الانساني، هنا لا اهمية للزمن، فالارض البعيدة التي يرحل اليها الصيادون او الباحثون عن نزهة تصبح مراحا وارضا يتجول فيها ابطال معلوف من اجل فهم حياتهم، ابطاله يبدو انهم راضون بواقعهم ولكنهم يتوقون لارتياد ارض اخرى. في القصة الاولى من المجموعة «وادي الغدران»، هي عن فتى مراهق اسمه انغوس، يقرر الذهاب في رحلة صيد في الوادي، وهي الرحلة التي رفضها والده المحامي المعروف والقارئ النهم والذي وان كان جزءا من المجتمع الا انه يعيش حياته بعيدا عنهم خاصة عندما يتعلق الامر بحفلات الصيف والصيد، فكل قادم جديد للمنطقة كان يدعى لحفلة الصيف للتعرف عليه وان كان يمكن ان يضم لشلة الحي او يتم دمجه في هذا المجتمع. المحامي لم يكن يرفض الدعوة ولكنه كان يؤجلها واستمر الامر سنوات حتى مل سكان الحي من دعوته، والان جاء دور ابنه انغوس الذي منعه من الانضمام الى الرحلة بسبب صغر سنه، وفي هذا الصيف يدهش الابن عندما يخيره والده بين الذهاب او البقاء ولكنه يختار الذهاب. يعمل معلوف هنا على فكرة المقاربة او المقارنة عبر الشاب.

على مائدة الطعام يحتدم النقاش حتى تنسى العائلة الطعام/ في المقارنة فان عائلة صديقه برادين تتناول طعامها بصمت. الاولاد لا يتحدثون الا بقدر ربما للاجابة على سؤال او للثناء على الطعام الذي صنعته والدته طمعا بالمزيد، في هذا البيت الهادئ يجد انغوس راحته، فهو تغيير عن حياته مع عائلته وشقيقاته، فهو الشاب المنطوي النهم المقبل على القراءة لا ينقصه اي شيء، حب الاب او الام، والقرب من شقيقاته خاصة كيتي ولكن حياته تبدو غير مكتملة، ويشعر انه بحاجة للتعويض عنها بالذهاب لبيت صديقه برادين، بالمقابل يجد ستيوارت شقيق صديقه برادين انه بحاجة لبيت انغوس حيث يبدأ علاقة مع شقيقته كيتي، العلاقة التي تدور تحت سمع وبصر انغوس لا تهمه الا بقدر انها اصبحت كسرا لروتين حياته، ستيوارت الذي اصبح جزءا من العائلة ويقضي اوقاتا شقية او بريئة مع كيتي هو نفسه يجد صعوبة في التعايش مع فضائه الجديد فهو ابن المزارع. لا تعتبر الكتب والقراءة كل حياته ونشعر ان في داخله شيئا يثير احراجه، كلما شاهد انغوس متمددا في شرفة البيت قارئا لكتاب او محاولا لشرح من هو راسكلينوف لستيوارت، فجأة تنقطع العلاقة، ويصبح مشهدا مألوفا وقوف سيارة ستيوارت امام البيت في محاولة لفت نظر كيتي له. جاء هذا الفصام التام بعد فترة شد وجذب بينهما، انغوس لم يقل شيئا وكان يود لو نزلت اخته لستيوارت وحلت المشكلة معه، لكنها لم تفعل، في ليلة تبوح له اخته وتعبر عن حبها له وتؤكد له انها لن تعود الى ستيوارت، السبب غير واضح، فهي لا تتخيل ان تكون جزءا من مؤسسة الزواج وان تعيش حياة مملة في هذا الجزء البعيد من استراليا، لكن السبب ليس واضحا ومعلوف لا يقول كثيرا في هذا السياق. على خلاف ما كان يتوقع انغوس الذي شعر ان ستيوارت صديق ليس مناسبا، يصبح صديقه، في رحلة الصيد يقترب ستيوارت من انغوس بقدر، وفي واحدة من رحلاته لجلب الماء من المعسكر يطلب ستيوارت من انغوس التدخل واصلاح البين بينه وبين اخته كيتي. يشعر انغوس بالغضب ويكشف له ان اخته لن تعود اليه وعليه والحالة هذه نسيان الامر الى الابد، فحب كهذا عبث وبلا فائدة.

الى هنا يبدو معلوف ساردا معنيا بشاعرية اللحظة وتفاصيلها وتقديم لوحة جميلة عن الطبيعة، كل هذا يتغير عندما يجد انغوس ستيوارت وهو ينزف، تفاصيل الجري للمعسكر وطلب المساعدة واسعاف ستيوارت ليست مهمة، المهم طبيعة الحادث، هل هذا فعل نشأ عن خطأ ام انه مقصود وتعبير عن فشل في الحب؟ وان كان هذا فانه مبالغة كبيرة في الحب الذي لا يعترف به المجتمع. مشهد الدم النازف، الذي يدهشه فيه طراوته وطزاجته ورد فعل برادين الذي كان يعتقد ان ستيوارت قصد هذا واطلق النار على نفسه تعبيرا عن حبه لكيتي، لكن انغوس يرى في الحديث مشهدا اخر عن المجهول في حياة البشر ـ فالانسان لغز ويظل قادرا على القيام بافعال غير متخلية، وهذه القصة هي عن القلق والروتين ورفض الحياة، في النهاية يقرر الجميع، انغوس وكيتي وبرادين ترك المكان، الى اين؟ معلوف ليس معنيا بالكشف عن الحياة الجديدة لشخوصه.

في القصة المعنونة «كل حركة تقوم بها» يمارس معلوف لعبة اخرى في الخفاء فبطلا قصته جو، الفتاة الجديدة على مجتمع مدينة سيدني وميتشل ميز او ميتش الذي يعرفه الجميع ولا يعرفه، جو الجديدة والشابة القادمة من خارج استراليا تبحث عن حب غير تقليدي صارخ، كل اصدقائها الذين مروا في هذه المرحلة يرون في حلم جو نوعا من المبالغة، ويعتقدون ان هذا عرضي ولكنها اي جو تواصل البحث والتفتيش حتى تلتقيه، في حفلة عندما يدخل وتشعر انه غير مزاج الجميع، لم يكن فيه ما يثير، شاب وسيم، في جينز وقميص وشعر اشعث، تزعم جو ان كل شيء في الحفل تغير لكنها تعترف انها هي التي تغيرت وسحبت شعورها على الجميع، في تلك الليلة تعود معه الى بيته، الذي لا شكل له. شيئا فشيئا يتعودان على بعضهما البعض، هو الرجل الذي لا يحب الاسئلة، ويرد بخجل على بعض نزوات صديقته الجديدة الغاضبة، يواصل حياته يخرج للعمل ويعود للبيت وهي نفسها التي تشعر انها لم تعرفه كثيرا، هي مثل كل الاستراليين او القادمين لهذه القارة جاءت من ارض خفية ولها ماض ما ومثل رفيقها الذي صارت لا تفارقه وتجد في اختلافه صورة عنها، وعلى الرغم من انه فتح لها كل خفايا حياته الا انه ظل غامضا. ما يثير ان ميتش هو ممثل ولكنه يرفض فكرة الذهاب مع رفيقته الى السينما لكي يشاهدا فيلمه، ليس مهما هذا العمل لانه ليس عنه، يقولها بنوع من التواضع والحياة. يبدو انفتاح ميتش بقدر، فهو وان تقبل فكرة العيش مع فتاة الا انه ظل محافظا، لا يريد التغيير، وعندما اشترت له ملابس جديدة غير تلك التي يتمسك بها والرثة لا يرفضها ولكنه يعبر عن عدم راحته. في لحظات الصفو كان يحدثها عن بيته القديم واعطاها عناوينه السابقة، ومن اجل فهمه اكثر، تذهب الى بيته القديم وهي تحمل شعورا بالذنب انها لم تصدقه. يقع ميتش ويصاب اصابة خطيرة يفقد على اثرها الوعي ويدخل في غيبوبة، هنا يتغير نظام حياتها وتجلس بقربه طوال الوقت، تحاول ان تحفزه للرد عليها بكل الاسماء التي حملها وتسمى بها، لكنه يرحل، جنازته صغيرة ومتواضعة، في الوجوه الكثيرة التي تشاهدها تحاول العثور عليه، وعندما تعود للبيت، وتراقب ما فيه وتتساءل ان كان عليها تركه كما هو او تغييره، تجلس تفكر مع حلول الظلام التي يغطيها وينتهي المشهد، ربما كان موته ايضا اللحظة التي وصلت فيها لمعرفة ذاته. في قصة «طفل الحرب» يقدم لنا ديفيد معلوف شخصية اخرى، تشارلي، الذي يعيش مع عمته، وفي لحظة يطلبه الجيش للخدمة في حرب فيتنام. هنا يلعب الكاتب على فكرة ساخرة عن الحرب والحسن والقبيح في الحياة. تشارلي بداية يعيش عالمه الممل، في بلدة بعيدة عالمه لا يتعدى الحانة التي يقضي وقته فيها، يدخن ويشرب البيرة ويكتب ملاحظات ويوميات، عاطل عن العمل مثله لا يختلط الا بالناس العاطلين او المتقاعدين، عالمهم ضيق، وعندما يصبح منهم يدخل عالمهم كرقم او كجزء من ديكور الحانة التي يرتادها، يقول ان حلول الظلام، انتهاء اليوم صار مفتاح وجوده، في جو كهذا تصبح فكرة الحرب في فيتنام نوعا من التغير او بحثا عن معنى لحياته، بالنسبة له الحرب هي فرصة او ارتياد للمجهول الذي كان يحلم، ومن هنا قبل رحيله يقرر الذهاب للحلق وقص شعره على طريقة الجنود ولبس زيه العسكري، وزيارة الاقارب الذين نسوه وزملاء المدرسة الذين تفرقوا، زياراته تثير الدهشة خاصة انه يتهم بمحاولة التظاهر الكاذب، ولكنه في داخله يعرف انه لا يتظاهر او يدعي بل يريد ان يودعهم ويتذكروا انه زارهم. براءة او جهل بل سذاجة تشارلي تؤدي الى فتح عينيه على حقيقة الثمن السياسي للحرب. تتساءل واحدة من معارفه عن سبب فرحه بالذهاب لفيتنام لكي يقتل النساء والاطفال والابرياء الذين لم يؤذوه، مما يعني ان الحرب هناك ليست كما كان يتصور « اليقين الذي يحتاجه او كان بحاجة اليه لكي يغير اتجاه حياته». بعد ثلاثة اعوام في غابات وادغال فيتنام يعود تشارلي، بلا يقين او هدف، محطما، يحمل في داخله فهما عن نفسه التي اصبحت اشباحا.

في «عند منتصف الليل» صور امرأة تعيش وحيدة في فيلا في توسكان، وفجأة تواجه فكرة الموت، حيث يؤكد عنوان القصة هذا الحس، فالموت قد يحدث عاجلا وليس اجلا، ومع ان كل القصة عن النهاية والخوف من الموت الا انها احتفال بالعقل الانساني وقدرته على الاستمتاع في وجه تحلل الجسد الانساني. وعندما تكتشف هذه السيدة ان لاجئا من العاملين يقوم بعادة التسلل من مكان اقامته مع زملائه لاستخدام حمام السباحة في فيلتها، ترحب بزيارته وتراقبه خفية من عتبة البيت، فقط تراقبه وتحتفل بنشاطه وشبابه، هنا تتقبل السيدة الحياة كما هي في بهجتها وبدون حسد او غضب.

في «السيدة بورتر والصخرة» التي تعتبر من احسن قصص المجموعة، فالصخرة هي هي «اولورو» المقدسة عند شعب الابورجين، والتي تعتبر من الاماكن التي يجب ان يمر عليها ويزورها السياح. السيدة بورتر تكون واحدة من السياح التي جرها اليها ولدها المشاغب والذي يصر على التدخل في حياتها. معلوف يقدمها لنا في البداية بصورة كوميدية لا يعجبها شيء، ومعزولة عن الواقع، ولكن مع تقدم السرد في القصة فان اراءها الغريبة وتعليقاتها العجيبة تحمل الكثير من المعاني الغنية وغير المريحة. ومثل السيدة في «عند منتصف الليل» تقف السيدة بورتر عند حافة الرحيل او النهاية وكلما اقتربت منها تتلبس تعليقاتها اشعاعا واضافات جديدة ورؤيوية. كلا المرأتين تقدمان على كونهما خارجتين من دوامة حياتهما الى علاقة جديدة مع الكون، علاقة عميقة وسهلة ابسط من ظروفهما السابقة، تماما كما حدث مع اغنوس، ابن مستنقعات كوينزلاند، حيث يجد ان هويته الاشكالية تتلاشى مع العالم الطبيعي الذي يكتشفه لاول وهلة.

في القصة الاخيرة «معزوفة محلية/ كانتاتا محلية» يحاول موسيقار حماية موهبته الموسيقية من التدخلات العائلية المستمرة، ومنغصاتها، دراجة هوائية تلقى في الصالون، مناشف مبتلة في الحمام، اوان واطباق مراكمة فوق حوض الغسيل، والحضور المشوش للاطفال، وحفلة غير منظمة على الغداء تنتهي بفوضى حيث تعاني واحدة من صديقات ابنته المراهقة من نوبة. ومع اقتراب نهاية اليوم يقوم الموسيقار بالعمل مع زوجته على انهاء معزوفة موسيقية، حيث يتردد صوت المرأة وغناؤها خلال البيت لكي يشير الى ان المعاناة الانسانية هي اكبر مما نعرفه، وقد تأخذ شكلا صافيا وطاهرا مثل هذا الصوت الجميل.

في «مكان اخر» يحضر رجل في الثلاثينات من عمره جنازة في سيدني، ومن كثرة ما شرب في الليلة قبل دفن الميت، يشاهد قميصا معلقا على شجرة يذكره هذا القميص بمصدر حزن له، فالقميص القريب والمألوف له يصبح تعبيرا عن حنين هذا الرجل الثلاثيني لشيء جديد خارج وجوده. مع كل هذا فالقصص تحمل لحظات كشف واكتشاف من ان هذا الوجود، وان كان غير مرغوب فيه الا انه ليس النهاية او خارج لحظة الاندهاش بالحياة. يكتب معلوف كعادته بلغة بسيطة ولكنها مكثفة حيث تكشف عن الجانب غير المعروف حيوات الشخصيات وتلعب القصص على فكرة «كيف يمكن ان يتحول الضغط مهما كان صغيرا الى محدد كبير لما نشعر به وكيف نتصرف؟»

قصص معلوف الجديدة اضاءة جديدة وشهادة على الابداعية عند الكاتب وموهبته التي تستحق ثناء كبيرا، فهو وان حاز جائزة ادب الكومنولث البريطانية وجائزة ايمباك الايرلندية، وهو كاتب وان كان غير مقروء بشكل واسع خارج حدود استراليا الا انه يستحق الاهتمام والتقدير، فهو اديب شامل، شاعر وقاص وروائي وناقد. وقصصه تأخذنا نحو دهشة اكتشاف عادية الاشياء اليومية.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

■ ولد ديفيد معلوف في بريسبين، كوينزلاند، استراليا عام 1934، وصل والده من لبنان لاستراليا في ثمانينات القرن التاسع عشر، فيما وصلت والدته قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى 1914، درس في مدرسة بيريسبين الثانوية وجامعة كوينزلاند، التي عمل فيها عامين بعد تخرجه منها. في عمر الرابعة والعشرين ترك معلوف استراليا، وعاش في بريطانيا بين الفترة 1958 ـ 1968 وعمل مدرسا في لندن وبيركينهد.

بعد ذلك عاد للعمل في جامعة سيدني مدرسا للغة الانكليزية، حيث ظل فيها حتى عام 1977، يقضي وقته الان موزعا بين استراليا وجنوب توسكاني في ايطاليا. حاز على العديد من الجوائز الادبية ومن «جونو» (1975)، «حياة متخيلة» (1978)، «العالم العظيم» (1990)، «تذكر بابل» (1993)، ومن اعماله الروائية القصيرة «طر بعيدا بيتر» (1981). اما مجموعاته القصصية فمنها «لعبة طفل» (1982) و«قصص لم تقل» (1999) و «احلام» (2000). وله مجموعات شعرية ومسرحية بعنوان «علاقات دم» (1985) وسيرة ذاتية تحت عنوان «12 شارع ادمنتون» (1985)

Every Move You Make
David malouf
Chatto & Windus/
London - 2007

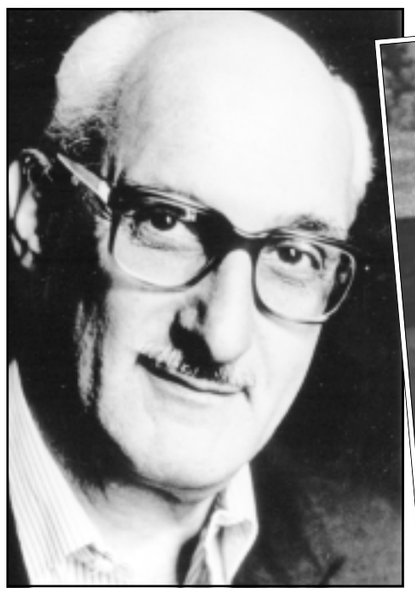

ديفيد معلوف

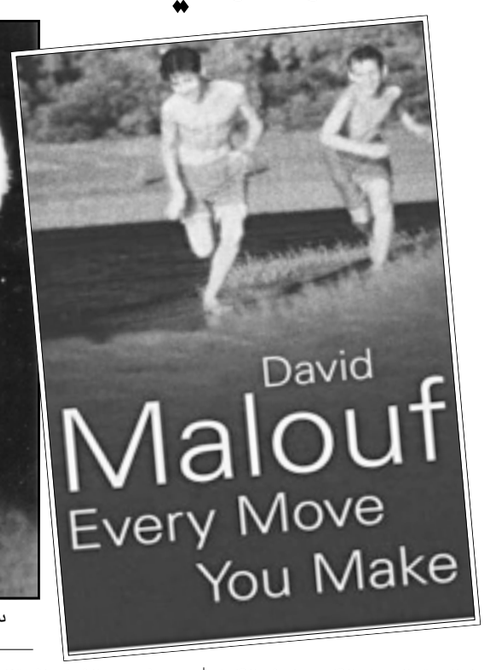

معرض القاهرة الدولي التاسع والثلاثون للكتاب يواصل فعالياته:

العامة يعتبرونه نزهة رخيصة والمثقفون يعتبرونه افسادا

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ
من محمود قرني

استمرت فعاليات معرض القاهرة الدولي التاسع والثلاثين للكتاب في اثارة الكثير من البهجة لعامة الجمهور وفي الكثير من الاحباط للمثقفين في مصر، فعلى مستوى العامة يعتبر المعرض فسحة سنوية رخيصة الثمن، يذهبون اليه بعوائلهم لقضاء يوم بين عشرات وآلاف البشر، وأمام ضجيج محلات الأدوات المنزلية والكاسيت والبرمجيات والحواسب الآلية ومحلات المأكولات والمقاهي والمشروبات المرطبة، أما المثقفون فيرون ـ في الأغلب ـ كل هذه المظاهر نوعا من الاعتداء السافر على الطريقة التي يجب أن يقدم بها الكتاب الى قارئه، وقد سعت أصوات عديدة الى تقليص الكثير من الأنشطة لتجاوز هذا الضجيج العارم الا أن شيئا من ذلك لم يحدث.

وفي الأيام الماضية استمرت مشاركات ايطاليا كضيف شرف في العديد من الفعاليات حيث التقى الكاتب ادوار الخراط مع الايطالي دانيالي جوديتشي في لقاء بين أدبين وثقافتين. ايضا اقيمت اكثر من ندوة لمناقشة العديد من الموضوعات المرتبطة بالحوار الحضاري وأزمة العلاقة بالآخر، على غرار تلك الندوة التي تحدث فيها عبد الله التطاوي، وحوار الشرق والغرب الذي تحدثت عنه الدكتورة آمنة نصير والدكتور محمد الجليند، هذا بالاضافة الى الأنشطة الابداعية في ملتقى القصة والمقهى الثقافي وعكاظ للشعراء، وسوف نحاول هنا أن نرصد أهم ملامح الزخم الحادث في المعرض خلال الأيام الثلاثة الماضية.

في اطار سلسلة من المواجهات بين مصر وايطاليا في اطار استضافتها كضيف شرف المعرض التقى كل من الكاتب الايطالي دانيالي ديل جوديتشي مع الكاتب ادوار الخراط في لقاء أدارته ماريا ايدا مدير مهرجان الأدب الدولي بايطاليا.

تحدث الخراط في البداية عن مغامرة الكتابة التي تعادل مغامرة الكشف عن مجهول لاكتشاف اعماق أوسع للمعرفة الانسانية، وعن العلاقة بين الشرق والغرب قال الخراط انها علاقة تسودها أشكال مختلفة من العطاء والتواصل منذ عصر النهضة وتقوم على درجة من درجات التكافؤ، وأضاف ان تلك الطموحات المشتركة هي التي تجعلنا نقف في مصر انسان واحد.

وأكد الخراط على أن الأدب يمكنه أن يكون تلك الوسيلة الأهم للتعايش، لأنه يكشف عن الكثير من التوافقات الانسانية، والأحلام المشتركة، ورفض الخراط فكرة تقسيم العالم على أساس شرق وغرب، مؤكدا أن الحدود السياسية والجغرافية لا يمكنها أن تصنع مثل هذه الفرقة، وأضاف أن فكرة الآخر تعني تأكيد مفهوم الثراء سواء داخل الثقافة الواحدة أو الثقافات المتعددة. أما الكاتب الايطالي دانيالي ديل فقال انه يبحث في الأدب عن الحقيقة والحرية، وقال ان الكاتب لا بد أن يبحث عن الحقيقة الذاتية الخالصة.

وعن رؤيته للعلاقة بين الشرق والغرب قال دانيالي:

ان الغرب كما نعنيه نحن يشير الى الغرب، فالغرب قارة عظمى تمتد من الولايات المتحدة الأمريكية وحتى الشرق، وهو ما يدفع الغرب الى النظر الى نفسه من حيث كونه كماً ونوعاً، ويحاول فرض منظومته القيمية على الآخرين من وجهة النظر النوعية هذه، بينما ينظر للمسلمين نظرة كمية وليست نوعية، ويضيف دانيالي تأسيسا على ما قاله:

لا بد لنا من احترام الثقافات النوعية للشعوب الاسلامية. ويرى دانيالي ان معرفة الآخر تبدأ من اللحظة المستحيلة والصعبة اذا كنا نريد الوصول الى معرفة حقيقية وهو الأمر الذي يتطلب منا بذل جهد مضاعف للعثور على هذه المعرفة.

كذلك وفي محور الشهادات قدم استاذ الفلسفة الدكتور صلاح قنصوة شهادته على رحلته العلمية، وذلك بعد فوزه بجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية. وقد انتقد قنصوة الكثير من الأوضاع القائمة وتناول الوضع المتردي الذي وصل اليه الانسان المصري، كذلك تناول مشكلة الهوية والغزو الثقافي والحقد على الاسلام، واعتبرهما من قضايا النصب الفكري عبر مصطلحات يتم استخدامها في غير مكانها.

كما أشار الى ما سماه ابتزازا دينيا وسياسيا للمواطن، باسم الثوابت والعادات والتقاليد، وهي نظرة يراها قاصرة للدين.

الحوار الثقافي وتعريب العلوم

أما في محور «كاتب وكتاب» فتمت مناقشة الدكتور عبدالله التطاوي «الحوار الثقافي مشروع التواصل والانتماء» وحضر الندوة الدكتور وجدي زيد والدكتور مصطفى لبيب والدكتور يوسف عبدالفتاح، وناقش الحضور مشكلة الحوار الثقافي والاتجاه نحو افريقيا وآسيا عبر العمق الحضاري الطويل، وكذلك تناولت الندوة مسألة تعريب العلوم وكان المثال هو التجربة السورية. تحدث في البداية الدكتور مصطفى لبيب الذي أشار الى أن الكتاب عبارة عن مشروع ثقافي يقدم للوطن العربي ونحن على مستوى الأفراد والأمة نعاني من عدم التواصل مع تراثنا وبين صفحات الكتاب جميعا نجد هذا التأكيد على قيمة هذا التراث وأهميته وعلينا ضرورة تاريخية للتواصل مع هذا التراث الى جانب التواصل مع الآخر ليس بهذا التهافت الذي نراه الآن على المستوى العربي أو السياسي ولكن بعلاقة الند والشعور بالانتماء الحقيقي لتاريخ العربي وتراثه، وأضاف أن المؤلف بحكم دراسته بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة فهو عاشق للحضارة الاسلامية، ويراها حضارة عالمية استطاعت ان تمتزج بالحضارات الموجودة في عصر ازدهارها الحضاري، واضاف لبيب ان الخطاب الحواري المنشود مع الآخر لا بد أن يكون له شروط أولها الرغبة في الحوار عبر العقل، حتى نتعرف على هذا الآخر، أما الشعور بالاحباط والشعور بالعجز فهما عائق حقيقي لهذا التواصل، فلا بد من الثقة الكاملة بالعقل وتجاوز الصعوبات والرغبة المتصلة بالتطور والاكتمال ولهذا فان الكتاب يطرح قضية ان نتحاور وهناك مستويات للحوار تحكم واقعنا الثقافي الراهن والدكتور عبدالله التطاوي علل مشاكل الواقع الثقافي ولعل أولها الفكر الديني، وقد حذر من ضرورة تركيز الحوار الديني على الثوابت الدينية والبعد عن التفكير والمصادرة على رأي الآخرين ويتمثل جيدا وروح الحضارة الاسلامية التي لا تعرف التفكير.

وأضاف أن هناك ظاهرة تكفير مسبق لأفكار وشهادات يجب دراستها بالعقل وليس بالتفكير والعلماء المسلمون انفتحوا على الثقافة الغربية على تنوع روافدها اليونانية والرومانية والهندية والفارسية ونظروا اليها على أنها طريق المعرفة وعالمنا اليوم يحتاج الى من يمتلك مفاتيح المعرفة لأنها العزة والمنعة وليس في كثرة الأموال أو تعداد السكان.

وأضاف ان علماءنا المسلمين وعوا هذا الدرس التاريخي منذ أن كانت الحضارة الاسلامية في عزها ثم بعد القرن الثالث الميلادي الهجري ظهرت كتابات ذات عناوين ملفتة مثل «الشكوك على بطليموس، الشكوك على لانجوس» أي ان العلماء المسلمين لم يأخذوا حضارة الآخرين كما هي بل درسوها وعقبوا عليها ونقدوها وطوروها.

وأشار الى ان الكتاب يطالب بالاتحاد مع الصين واليابان في تطورهم التنموي وقال ان الحضارة الاسلامية كانت تأخذ من الحضارات الشرقية البعيدة والغربية.

أما المؤلف فقال: للعرب مثل قديم يقول « ما ترك الأول للآخر شيئا، ولقد خجلت من كل هذا الذي قيل ولكن الكتاب اضافة علمية تصورت أننا في حاجة اليها في واقعنا الثقافي ونحن ينقصنا نقص ذواتنا أولا ثم يأتي كتابي الثاني «الطريق الى المشترك» مثل المشترك بين الأديان، وهو بحث مشروع في هذه المرحلة، فكل ما طرح يضعني أمام مسألة في غاية الأهمية وضرورة الاتجاه نحو الشرق أو افريقيا وقضية الاتجاه نحو «افريقيا» مسألة في غاية الأهمية، وافريقيا تحتاجنا وتحتاج أن نمد لها يد المساعدة». وأضاف انه يعرف أستاذا من أذربيجان يخشى على اللغة العربية من أن تنسحب من أذربيجان وبخاصة المدارس وليس الجامعات فما بالك بكازاخستان وهذه الشراكة في بنية الثقافة والفكر لا بد أن تمد لها يد العون بدلا من أشياء كثيرة. وأضاف التطاوي أن هناك محاور أساسية قام عليها بناء الكتاب أولها انسانية الثقافة وانسانية الحوار وكيف نجد منطقة مشتركة حتى لا نصل الى درجة القطيعة المعرفية سواء مع النفس أو مع الآخر أو التراث، وكل هذه القطيعة المعرفية غاية في الخطورة وكأنها أمة تفقد ذاكرتها، وهناك موجات لقتل القوميات والهوية الوطنية والقصور حتى في التحاور بمنطق التفاوض ونحن الأمة التي صنعت الحوار بدون مزايدة فحضارتنا تسمى عربية اسلامية وعربية تعني كل الأديان والملل واسلامية تضم كل الأجناس. وأضاف التطاوي: منذ أن صدرت الحضارة الاسلامية لكل البلاد من جزيرة صقلية الى الصين والهند وصدرت أفضل ما في داخل العقل العربي وأذكر بالفضل فؤاد سوسكين وموسوعة تاريخ الفكر العربي. ويضيف أن العرب وصلوا الى الأمريكتين قبل كريستوفر كولومبس فهي أمة وحضارة خطيرة كانت تريد أن تنشر العلم والمعرفة في كل أرجاء المعمورة.

وموسوعية الحوار في الثقافة العربية بدأت من قضية الايمان بالمشترك وذلك عبر حوار متكامل من الحوار المشترك وهناك مثال آخر هو ابن سينا وكذلك الجاحظ، ويشير التطاوي الى الفروق بين الالتزام والحرية والفوضى حتى لا تضيع القضية الأساسية تحت شعار الحرية العلمية.

ويتساءل التطاوي: كيف نقيم حوارا، ويجيب: في الاسلام لدينا الاجتهاد بشروط وأسس منهجية ونحن لدينا مدارس فقهية وتفسيرية عديدة تدل على تفتح الحوار، حتى في الدراسات التاريخية والاجتماعية التي تؤكد على قبول الآخر حتى ولو كان منا فلدينا تواريخ الشعراء وتواريخ المدن، كتاريخ بغداد وأصفهان وغيرهما، أي الى هذه الدرجة وصلت الحضارة الاسلامية من الرقي وتقبل الآخر والحوار المشترك وتجديد الحوار والخطاب، وعلينا تجاوز المرحلة الحالية والبحث عن حلول. أما الدكتور وجدي زيد فقال انه حضر مؤتمرا في الصين تحت عنوان «الصين والغرب» ووجد أن الصينيين مشغولون بضرورة التواصل مع الغرب، وأضاف أنه قدم مداخلة كان مفادها ان الغرب يعاقبكم لأنهم نسيتم الحضارة العربية ودورها المهم في الصين وبالتالي نحن أولى بهذا التواصل الثقافي معكم بدلا من الغرب.

أما الدكتور يوسف عبدالفتاح فيقول: هذا الكتاب يعطي مثلا رائعا لدور المثقف تجاه المجتمع، وفي العصور الذهبية في الاسلام كان للمثقف دور رئيسي في مجتمعه، والحوار الثقافي هو المفتاح الحقيقي لأي حوار سياسي، وأن السياسي اذا دخل حوارا دون أن يعرف ثقافة الآخر الذي يحاوره ستفشل لغة الحوار كذلك سيفشل الحوار، اذا لم يكن يعرف ثقافتي وهويتي واعتزازي بها.

الاسلام وارادة الهيمنة

أما قاعة 6 أكتوبر بالمعرض فقد شهدت ندوة حول موضوع الصراع الحضاري بين الاسلام والغرب تحدثت فيها الدكتورة آمنة نصير أستاذة العقيدة بجامعة الأزهر وكذلك الدكتور محمد الجليند استاذ الفلسفة بكلية دار العلوم وأدارتها الدكتورة تيسير مندور عضو اللجنة الدائمة لحوار الأديان.

قالت مقدمة الندوة ان الموضوع شديد الأهمية وفي توقيت مناسب نظرا لما يدور حولنا على المستوى العالمي في ظل العولمة وعلى المستوى الاقليمي في ظل ما يحدث في المنطقة. وأضافت: ان علينا أن نناقش الهيمنة في ظل انفراد القوى العظمى الوحيدة، وهل الصراع الدائر حاليا هو صراع سياسي اقتصادي وحضاري، لقد أصبحت هذه القوى الوحيدة تحاول فرض سيطرتها، خاصة بعد أن اختفى الاتحاد السوفييتي السابق، وأضاف أنه في هذا الاطار لا بد أن نناقش هل هناك خلاف ديني حقيقي، رغم أن التاريخ مليء بالخلافات بين أبناء الدين الواحد، هناك خلافات مسيحية مسيحية، وخلافات اسلامية اسلامية.

بعد ذلك تحدثت الدكتورة آمنة نصير فقالت:

الصراع التاريخي بين القوى التقليدية والقوى المعاصرة، قد فرض نفسه الآن والتاريخ مليء بهذه الاحتكاكات لكن أقول ان الاسلام لم يكن يوما معاديا لأي من الديانات لكن أقول ان مرض البشرية وعدم فهم الكتب السماوية جاء نتيجة عدم تصدير الكتب الاسلامية الى هؤلاء في العالم الغربي والمسيحية قالت ما جئت لألهم الناموس وهذا أساس التسامح.

وأضاف أن الكل يتوارى خلف الدين وهذا هو لب الصراع، ومع ذلك هناك اختلافات أدت الى وجود المذاهب في الدين الواحد، وأضافت نصير: انني حضرت مؤتمرا في سويسرا بحضور جميع أصحاب الديانات في العالم اتفقنا على أن الأديان بريئة من الصراعات السياسية على مر تاريخ البشرية، لكن هناك من يحاول استغلال الأديان لتحقيق انتصارات سياسية واقتصادية. وأشارت الى أن الهيمنة بدأت بمناوشات وانتهت الى احتلالات كبرى. أما الدكتور محمد الجليند فقال ان علاقة الانسان بالعالم وبالآخرين مؤسسة في جميع الأديان اذ أن جوهر العقيدة واحد والقواعد والقيم الأخلاقية واحدة، واضاف أنه ليس هناك خلاف لأن المصدر واحد لكن المشكلة تأتي عندما يتناول الانسان بطريقة أبعد عن منطقها ويتم تطويعها لأغراض هي في جوهرها ضد الانسان.

إصدارات جديدة

«الساحل» فصلية تعنى بتراث وثقافة الخليج

لندن ـ «القدس العربي»:

مجلة «الساحل»، فصلية جديدة تعنى بالثقافة والتاريخ في الخليج العربي، صدر عددها الأول عن مؤسسة الساحل لإحياء التراث في الجزيرة العربية.

العدد ضم عدة دراسات توثيقية ووصفية تاريخية ترتبط بتاريخ المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. منها دراسة حول «الإدارة العثمانية وأجهزتها في متصرفة الإحساء»، وأخرى تناولت «القطيف وقبائلها وقراها في منتصف القرن الألف الهجري». كما عرضت لسيرة الشيخ محمد باقر أبو خمسين، ضمن باب «علم من الساحل»، وموضوعات بحثية أخرى.

التاريخ والتراث ليسا هما حقلي المجلة الأوحدين، بل اهتمت «الساحل» بالثقافة والأدب، وأفردت فصلا لمراجعة الكتب وتقديم القراءة النقدية حولها، ورصد ومتابعة النشاطات الثقافية والإصدارات الحديثة، إضافة لعدد من النصوص الأدبية للقاص منصور الشقحاء، والشاعر جاسم الصحيح.

يترأس تحرير المجلة الباحث السعودي حبيب آل جميع، فيما يتولى إدارة تحريرها الشاعر والمحقق عبد الخالق الجنبي.

يشار إلى أن مؤسسة الساحل وضمن نشاطها الثقافي، قامت بإصدار كتابين، الأول بعنوان «سدرة المنتهى»، والثاني تطرق إلى «أزمة المخطوطات الشيعية في الجزيرة العربية».

«الفكر الليبرالي عند فرنسيس المراش: بنيته وأصوله وموقعه في الفكر العربي الحديث»

بيروت ـ «القدس العربي»:

صدر حديثا عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «الفكر الليبرالي عند فرنسيس المراش: بنيته واصوله وموقعه في الفكر العربي الحديث»، ضمن سلسلة اطروحات الدكتوراه (60).

تحتل قضية التراث حيزا واسعا في اهتمامات الفكر العربي المعاصر، وستبقى في هذا الموقع الاساسي «نظرا الى ما للتراث من صلة حية بالمرحلة الحاضرة من تاريخ الثقافة العربية»، على حد تعبير الدكتور ناصيف نصار في تقديم هذا الكتاب.

لقد اجتهد د. كرم الحلو باحثا ومنقباً في حياة ومؤلفات فرانسيس المراش، والمرحلة التي عاش فيها، فأبرز معالم تجربته وافكاره، واظهر اطارها التاريخي، وعقد مقارنات بين ما سبقها وما عاصرها، وركز على